العدد 21A 2 تموز 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A2 Jul.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الألفاظ التي تطلق على العامة في بغداد خلال العصر العباسي

م.د. ماجد حميد رشيد- **وزارة التربية العراقية / مديرية تربية الكرخ الأولى**
م.د. سعد محمود مريوش - **وزارة التربية العراقية / المديرية العامة لتربية واسط**

ملخص البحث:
جاء اختياري لموضوع دراسة العامة في بغداد من ناحية الألفاظ التي كانت تطلق عليهم خلال العصر العباسي، وقد اقتضت طبيعة البحث إلى تقسيمه إلى مقدمة بينت فيها منهجي، ومبحثين، وقائمة بالمصادر التي تم الاعتماد عليها، وعلى النحو التالي: **المبحث الأول**: مفهوم العامة، أما **المبحث الثاني**: الألفاظ التي أطلقت على العامة في بغداد خلال العصر العباسي، وختمت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في إعداد هذا البحث.
الكلمات المفتاحية: الألفاظ ـ العامة ـ بغداد

Terms Used to Refer to the Common People in Baghdad During the Abbasid Era

Dr. Majid Hamid Rashid
Ministry of Education / First Karkh Education Directorate
kgyrtyb@gmail.com
Dr. Saad Mahmood Maryosh Ali
Ministry of Education / Wasit Education Directorate
saad.mahmoud1105b@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Research Summary:
My choice of the topic of studying the common people in Baghdad stemmed from the terms used to refer to them during the Abbasid era. The nature of the research necessitated its division into an introduction outlining my methodology, two main sections, and a list of sources consulted, as follows: Section One: The Concept of the Common People; Section Two: Terms Used to Refer to the Common People in Baghdad During the Abbasid Era; and I concluded the research with a list of sources and references used in its preparation.
Keywords: Vocabulary - General - Baghdad

المقدمة

من الجدير بالملاحظة أن كتب التاريخ الإسلامي كانت منصبة عادة على التاريخ السياسي في كثير من الأحيان، لذلك أرخت للخلفاء والسلاطين والأمراء، وذكرت الحروب والمعارك، وأهملت كثيراً من مظاهر الحياة الإنسانية، بما فيها الحياة الاجتماعية. ولكن الاهتمام قد تحول في الوقت الحاضر إلى كتابة التاريخ الاجتماعي، إلا أن التصدي لهذا الموضوع ليس بالأمر السهل، لاكتشافه بعض الصعوبات المتمثلة في تحديد أفق هذه الدراسة؛ لأن جوانب الحياة الاجتماعية متعددة، من ناحية مستوى المعيشة، أو الحالة الخلقية والعقلية وغيرها من مظاهر الحياة الإنسانية. وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت في الكشف عن بعض جوانب تاريخنا الاجتماعي.

المبحث الأول: مفهوم العامة

تتفق معظم التعريفات بأن العامة هي خلاف الخاصة، ويراد الخاصة أصحاب الخليفة من ذوي قرباء، ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والأشراف، فقد تضمنت كل المشاركين في السلطة، ولا سيما بعد أن كبرت طبقة أصحاب النفوذ في مراحل ضعف الخلافة في بغداد، حتى أصبحت تعني النخبة[i]. وعرف الصفدي العامة بأنها خلاف الخاصة، قيل ذلك لما كانوا كثيرين لا يحيط بهم البصر، فهم في ستر عنه[ii].

ومن المعاني العامة قيل السوقة، وهم كما قال الحريري: " ليسوا أهل السوق"؛ بل هم الرعية، وسموا بذلك لأن الملك يسوقهم إلى إرادته، فيقال رجل سوقة وقوم سوقة. وتبنى الجوهري مثل هذا التعريف، واعتبر أن السوقة من الناس هم غير السلطان[iii]. وأبرز صفات العامة الجهل فقد يشير إلى نقص في الثقافة العامة، وكان الفقر الميزة الثانية التي تميز العامة.

ويمكن تلخيص جملة المواقف من العامة، بأنهم سواد الناس الذين لم يكونوا يتمتعون بأي سلطة، وأنهم كانوا يعيشون في عالم خاص له أبعاده الفكرية والدينية التي تتدنى عن مستوى عالم الخاصة.

المبحث الثاني

الألفاظ التي تطلق على العامة في بغداد خلال العصر العباسي

أطلقت على العامة ألفاظ كثيرة، فهم:

أولاً: العمال وصغار الصناع: وهم الذين يسكنون المدن وهم أخلاط من مولدي العرب والفرس والترك والديلم والروم والنبط والجركس والأكراد والكرج والبربر، ويشار إليهم بالأصناف وأصحاب المهن وأهل الصنائع[iv]. وعلى الرغم من كونهم من فئات متعددة إلا أنّ اللغة العربية كانت تربط بينهم، باعتبارها لغة الدولة التي يعيشون في كنفها، والمهنة حركة يتعاطاها الإنسان بلا خفر ولا استكراه[v]، وقد أكد الأقدمون على أن يقومَ كل صانع بعمله الذي يتقنه ولو خير ومُكنَ لزوال كل الصنائع طمعًا في المال والجاه، ودليلهم على ذلك أنّ الحائك لا يزرع القطن والخياط لا ينسج الثوب والخبّاز لا يذبح الشاة والعطار لا يدبغ والرقاص لا يضرب بالعود، ولو أمكن لفعل كل واحدٍ جميع ذلك[vi].

كان جلّ الصناع وأهل الحرف من الموالي وأهل الذمة في بداية العصر العباسي وقد انضم بعض المسلمين العرب وزاولوها بسبب تحسن النظرة إلى بعض المهن كالتجارة والصناعة فيما بعد. ويلاحظ أنّ أكثر الخياطين والصاغة والأساكفة والجزارين من اليهود، وأكثر المسيحيين صيارفة وتجارًا[vii]. وتعليل ذلك احتقار المجتمع لهذه المهن من جهة، وتعارض الدين الإسلامي مع بعضها من جهة أخرى كالصيرفة التي تعتبر ضربًا من الربا الذي نهى الدين عنه واعتبره حرامًا في الآية **(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)**[viii]، إنّ مما يخفف من نظرة احتقار الناس لتلك الصنائع كونها صناعات موروثة، يزاولها أصحابها منذ الصغر[ix].

وللعرب في هذا المجال أقوال كثيرة، كقول الجاحظ: «الحمقُ في الحاكة والمعلمين والغزالين»[x]. وقول المأمون: «السوقة سفَلٌ والصناع أنذال والتجار بخلاء»[xi]، وكانوا إذا أرادوا ذم أحد قالوا: «يا أخدر من جفنة الدباغين وأنتن من ريح القصابين، يا أنتن من حانوت الحجام يا أقذر من طين السماكين، يا أثقل من طفيلي يعربد على الندماء، يا أشد على الأحرار من تطاول الحجاب وعبوس البواب وجفاء الحجّاب، يا بيرم النجار يا زنبيل القماش[xii]»، ولقد كانت أجور العمال زهيدة مما يدل على إنهم كانوا يعيشون في فاقة، فقد بلغت أجرة عامل في حانوت نصف درهم في اليوم مع كسوته وطعامه وقد تزيد على ذلك تبعًا لمشيئة صاحب الحانوت وكانت أجرة عامل الحفر ثلاثة دراهم في اليوم وأجرة الحداد خمسة دراهم ليوم واحد وأجرة عامل حمام خمسة دراهم أيضًا[xiii]، ويمكن تقسيم أهل الصنائع إلى طائفتين:

الأولى: هم المأجورون الذين يقومون بعملهم لحساب غيرهم لقاء أجور يأخذونها من مستخدميهم، وتعطى لهم إما أجور يومية أو على حساب القطعة، وقد يعملون في بيوتهم ومحلاتهم الخاصة أو في بيوت مستخدميهم وهم قد يستعملون في عملهم أدواتهم الخاصة وموادًا أولية من عندهم أو مما يجهزهم به مؤجروهم، ويدخل ضمن هذا النوع من العمال الصناع من العبيد الذين يعملون لأسيادهم أو قد يكونون مأذونين لهم حق العمل فيما يريدون من صناعات وقد يدفعون لأسيادهم هم كل ما يجنونه أو قد يدفعون مبلغًا معينًا من المال يدعى ضريبة أو خراجًا أو غلة.

فقد بلغ دخل الزجاج في العصر العباسي «درهمًا ودانقين أو درهمًا ونصف يدفع لأستاذه درهمًا ويبقى لديه نصف درهم أو أقل يعتاش بها»[xiv]. وحتى من كان منهم يشتغل في بلاط الخليفة فإنّ راتبه الشهري قليل وزهيد لا يتجاوز الثلاثين درهمًا في الشهر كما هو بالنسبة للحرفين الذين يشتغلون في قصر الخليفة المعتضد أبان القرن الثالث الهجري[xv].

أما الطائفة الثانية: فهم الصناع المستقلون الذين يعملون لحسابهم الخاص من ذوي الحرف الذين يرثون صنعة آبائهم عادة، وهم على العموم أحسن مكانة من الصنف المأجور، فهم يمتلكون وسائل الإنتاج والأدوات ورأس المال في بعض الأحيان ولهم حرية التصرف في عملهم كما يشاؤون بعيدًا عن السيطرة والتسلّط[xvi]، ولهؤلاء الصناع أصناف وتسميات عدة[xvii].

ثانياً: العيّارون: ولهم تسميات متعددة في المصادر العربية[xviii]، منها المشردون والفساق والدعار والرعاع والطرارون والغوغاء والأسافل والسفهاء واللصوص وأهل الطرق، فقد روي عن أحمد بن حنبل قوله: «رحم الله أبا الهيثم الحداد: لما مددت يدي إلى العقاب، وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني! قلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب في أمير المؤمنين إنّي ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين»[xix].

ومن تسمياتهم الشائعة «الفتيان»[xx]، كقول شاعرهم:

ويقول الفتى، إذا طعن الطعـ نة خذها من الفتى العيار[xxi]

والمتداول في تسمياتهم: العيارون[xxii]، وهم العراة الذين ظهروا في نهاية القرن الثاني الهجري أبان فتنة الأمين والمأمون، وحصار بغداد عام 197هـ وقد بلغ عددهم آنذاك مائة ألف[xxiii]، وقد اقتصر لباس العيارين على «أزرة» أو «مئزر»[xxiv]يلفون بها أوساطهم[xxv]، وفي الأزمات والمعارك يجعلون في أعناقهم الجلاجل والصدف الأحمر والأصفر والمقاود ولُجمًا من مكانس ومذاب وهم عراة في أوساطهم المآزر[xxvi]، وصفهم الشاعر عمر الوراق بقوله[xxvii]:

عريان ليس بذي قميصٍ يغدو على طلبِ القَميصِ

يعدو على ذي جوشنٍ يعمي العيون من النصيص

في كفهِ طرادة حمراء تلمعُ كالفصوصِ

حرصًا على طلبِ القتالِ أشدُّ من حرصِ الحريصِ

ويقاتل العيارون وفي رؤوسهم «دواخل من الخوض سموها الخود، ودرقًا من الخوص والبواري قد قرنت بالحصى والرمل»[xxviii]،

وفي ذلك يقول الشاعر الأعمى:

معشر من جواشنِ الصوف يغدون إلى الحربِ كالأسودِ الضواري

وعليهم مغافرُ الخوص تجرئهم عن البيض والتراس البواري

واحد منهم يَشدُّ على الـ ـفتى عريان ماله من إزار

ويصفهم الشاعر الخريمي بقوله[xxix]:

من البواري تراسها ومن الـ خوص إذا استملأت مغافرها

تغدو إلى الحربِ في جواشنها الصفوف إذا ما عدت أسوارها

كتائبُ الهرشِ تحت رايتِه ساعدَ طرارها مقامرها

لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا يحشرها للقاء حاشرها

لقد عانت فئات العاطلين، الحرمان والجوع والتشرّد والاحتقار الاجتماعي وهذا ما يفسر لنا تجمعهم في حركات مضادة وساخطة، تعتبر حركة العيارين واحدة من تلك الحركات التي ما شهد في العصر العباسي ما

يماثلها وما هو أعنف منها، وإن كانت حركة العيارين تنفرد من بين تلك الحركات بطابعها السري وبأسلوبها الفوضوي الحاقد على الأغنياء والساخط على مثل وقيم المجتمع العباسي ولسان حالهم يقول:

عليك ثوبان وأمي عاريَةٌ فألقِ لي ثوبكَ يابَن الزانية[xxx]

لقد انتظم العيارون في عصابات تصدّت إلى نهب الحوانيت والأسواق وبيوت الأغنياء. فبعد أن انتهت فتنة الأمين والمأمون التي دامت أربعة عشر شهرًا، استمروا في حركتهم، مما اضطر القائد طاهر بن الحسين إلى فرض الحصار الاقتصادي على بغداد، وقد تسلّطوا خلال الفتنة وقاموا ببعض التعديات، وجبوا الأسواق وأباح لهم رؤسائهم النهب والسلب علانية[xxxi].

إنّ تذمّر العيارين من سوء أحوالهم الاقتصادية، وانتقادهم لنظام توزيع الثروة غير العادل، جلبت لهم عطف الشعب الكادح الذي عانى ما عانوه، فانضم إليهم أهل الحرف والباعة المتجولون وصغار التجار الذين كسدت سوقهم وبارت بضاعتهم، فقد ذكر ابن الأثير[xxxii]: إنّ باعة الطريق وأهل السجون والأوباش وأهل السوق قد انخرطوا في صفوف العيارين وحاربوا ببسالة قبالة جيش طاهر بن الحسين.، وليس للعيارين جنس معين، بل كانوا خليطًا من عدة أجناس أكثرهم من غير العرب، كما تدل أسماء رؤسائهم أمثال نبتويه وخالويه وديكويه ودويل[xxxiii].

ونشط العيارون للمرة الثانية في فترة الحصار الثاني لبغداد عام (251هـ/865م)، حتى كثر شغب الأتراك في سامراء.

وجدير بالذكر أنّ الرأي العام البغدادي قد عاب على المعتصم اعتماده على الأتراك وبناءه سامراء مدينة لهم، حتى إنّ أحد الشعراء عيّره قائلاً[xxxiv]:

أيا ساكن القاطول بين الجرامقة[xxxv] تركت بغداد الكباش البطارقة

وقد بلغ عددهم آنذاك خمسين ألف عيار حتى إنهم إذا تحرّكوا هلك بعضهم من كثرة عددهم وسرعة حركتهم، فقد اعتمد عليهم المستعين ضد الأتراك الذين بايعوا المعتز في سامراء ودارت بينهم معارك تمكّنوا من صد هجمات الأتراك على بغداد، «وكان عليهم عريف يقال له نبتويه وبأيديهم البواري المقيرة وقد ثبتوا، في حين إنّ أهل بغداد ولّوا الأدبار وتركوا قتلاهم وجرحاهم»[xxxvi] واستعان بهم المهتدي سنة (256هـ/869م)[xxxvii].

لقد كانت بعض حركات العيارين موجّهة ضد السلطة علانية، فقد ثأروا عام (248هـ/869م) وافتتنوا مع الشرطة، وصبوا عليهم الماء وطاردوهم في الشوارع وأولع العيارون بأذى الخدم السود أيضًا فكانوا يقولون لهم: «يا عقيق!» وقد انتصف المعتضد لهؤلاء الخدم[xxxviii]. وقد اقتصر أذاهم هذا على الخدم الذين كانوا في بلاط الخليفة وحاشيته انتقامًا من السلطة والمنتفعين بها.

وفي سنة (296هـ/908م)، قاتل العيارون محمد بن عمرويه صاحب الشرطة في بغداد وكل من أراد بيعة ابن المعتز،[xxxix].

أما أسلحة العيارين، فكانت الحجارة والمقاليع والآجر المقطّع والبارية المقيّرة والجعبة أو المخلاة والتراس من البواري، واتخذوا الخوذ من الخوص والرماح من القصب والبوقات من القصب وقرون البقر، وقد ذكر الطبري[xl]: أنّ العيارين استعملوا في حرب الأتراك الكافركوبات وهي بواري مقيّرة فيها مسامير من الحديد وتراسهم نبتويه ونودي من أراد السلاح، فوافاها العيارون من كل جانب، فقسمه عليهم وتفرقوا على أبواب بغداد وقد قتلوا من الأتراك خمسين نفسًا وقتل منهم عشرة، نظم العيارون أنفسهم إلى عشرات على كل منها (عريف)، وعلى كل عشرة عرفاء (نقيب)، وعلى كل عشرة نقباء (قائد)، وعلى كل عشرة قواد (أمير)[xli] (والرئيس) وتحت أمرته عشرة أمراء وهو الرئيس الأعلى للتنظيم العسكري العياري[xlii].

ومن رؤساء العيارين، حاتم الصقر وقد اشتهر في حوادث (197هـ/812م)[xliii] وأبو مسمار، وفرج البغواري، ونبتويه، وخالويه، ودويل، ودغال، وأبو نملة، وأبو عصارة، وديكويه، والمرخمي وقد ذاعت شهرتهم في حوادث (251هـ/865م)[xliv].

ثالثاً: الشطار: طائفة امتهنت اللصوصية، وجاهرت بها واعتبرتها صناعة حلالاً وسلاحًا رادعًا بوجه الأغنياء، مبرّرين ذلك بالفقر الذي هم عليه والحاجة التي اضطرتهم إلى السرقة، بعد أن أسقطت أرزاقهم.

يضاف إلى ذلك أنّ الأغنياء في العصر العباسي، قد تساهلوا في دفع الزكاة حتى إنّ قسمًا منهم امتنع عن دفعها، ولهذا وعلى حد زعمهم وجبت مهاجمتهم والسطو على أموالهم إحقاقًا للحق، وإنصافًا للضعفاء وانتصارًا للدين الإسلامي الذي اعتبر الزكاة فرضًا واجبًا للفقراء في ذمة الأغنياء[xlv]. فقد كان ابن حمدون وهو أحد رؤسائهم المعروفين، لا يتعرض لأصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الألف إلا إذا تشارك مع آخر ضعيف الحال، وإنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها[xlvi].

روى بعض التجار البغداديين قال: خرجت من بغداد أريد واسط فأفقرني أحد اللصوص وأخذ كل ما أملكه فسهل عليّ الموت وكنت أسمع ببغداد أنّ ابن حمدون فيه فتوة وظرف وأنه إذا قطع لم يعرض لأصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الألف وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئًا قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه، وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك، فأطمعني ذلك فصعدت إلى موضعه وكلّمته بأمري وما آلت إليه حالي، فأجابني قائلاً: لعن الله السلطان الذي أحوجنا إلى هذا، فإنه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل، ولسنا فيما نفعل بمرتكبين أمرًا عظيمًا مما يرتكبه السلطان، ثم أمر بإحضار ما أخذ مني، فأعطاني نصفه، فقلت: إنّ الطريق فاسد وما إن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا أيضًا، فأنفذ معي من يؤدّيني إلى المأمن قال: ففعل ذلك[xlvii]. وظهر الشطار إلى جانب العيارين كقوة مؤثرة في أحداث بغداد أبان فتنة الأمين والمأمون، وكان لهم دور ملحوظ فيما لحق بها من نهب ودمار، عبّر عنه الشاعر الخريمي أحسن تعبير بقوله:

يُحرقها ذاك وذاك يهدمها ويشتفي بالنهاب شاطرها

والكرخُ أسواقها معطّلةٌ بين عيارها وعائرها[xlviii]

ويمثل الشطار التنظيم السلمي في حين إنّ التنظيم الحربي قد عبّر عن نفسه في حركة العيارين من خلال انتظامهم في نظام الجند العشري[xlix]، وهم في أوقات السلم ينتظمون في جماعات ونقابات خاصة[l]، وكل وحدة من هذه التنظيمات تضم عددًا من الفتيان يتولى أمرتها الشيخ أو الأب أو القائد ويسمونه الكبير[li]، وكان للفتيان أو الفتوة قاضي يملي عليهم الآداب. كالقاضي ابن الفاتك[lii]. فقد كانوا يجتمعون عنده وكان يسكن بغداد عند باب الكرخ ومن كلامه: (الساقي من لا ينبغي أن يكون محدثًا ولا مغالطًا ولا محابيًا ولا حريصًا ولا مفكرًا ولا متّكئًا ولا محتبيًا ولا مشتغلاً بأمر غيره)[liii].

ولعلي بن الجهم شعر في رجل اسمه المفضل يسكن بالكرخ كان يجتمع له جماعة الشطار تألف القيان[liv]:

نزلنا ببابِ الكرخ أطيب منزلٍ على محسنات من قيان المفضلِ

أشربْ بيدٍ وأغمز بطرفٍ ولا تخف رقيبًا إذا ما كنت غير مبخلِ

ودعْ عنك قولَ الناس أتلفَ ماله فلانٌ فأضحى مدبرًا غير مقبلِ

وقد انتظموا في كيانات وأصبحت لهم خلايا وجماعات، كالأحزاب وكانوا ينشرون دعوتهم بين الغلمان والصبيان والفتيان، أوصى عثمان الخياط الشطار اللصوص قائلاً: «عليكم باتخاذ الغلمان فإنّ غلامك هذا أنفع من أخيك وأعدل لك من ابن عمك[lv]. وإذا ما انظم إليهم عضو جديد أقاموا له حفلة، شربوا فيها الأنخاب في مكان بعيد عن أعين الناس[lvi]. ويلبسون ملابس خاصة بهم ويأتزرون بمئزر على صدورهم يعرف بأزرة الشطارة، ويتلثمون بلثام أو قناع يخفون وجوههم تحته وفي ذلك يقول عثمان الخياط: «دعوا لبس العمائم وعليكم بالقناع[lvii]، والقلنسوة[lviii]».

ويطلق على الشيوخ من الشطار ممن عجز عن القيام بمهام الشطارة: بالتوابين[lix]ففي زمن المعتضد، حدث أن نقب منزل صاحب عطاء الجيش وأخذ ما فيه من مال فعمد صاحب الحرس وهو يومئذٍ مونس العجلي إلى إحضار التوابين وألزمهم بتشخيص اللص الفاعل[lx]. وللشطار حيل متنوعة وطرق متباينة في ممارسة أعمال اللصوصية، وقطع الطرق، فقد لجئوا إلى أخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق «فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع عليهم وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أن

يمتنع عليهم وكانوا يجبون المارة في الطرق والسفن ويخفرون البساتين، فقد خرجوا يومًا إلى قطرُّبل فانتهبوها علانيةً وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر وأدخلوها بغداد وجعلوا يبيعونها علانية[lxi].

ومن الشطار من يعمد إلى التخفّي والتظاهر بمظهر الغني إبعادًا للشبهات فقد ذكر أنّ اللصوص قد عملوا عملة عظيمة زمن المكتفي، فاجتمع التجار وتطلعوا إلى الخليفة الذي أمر صاحب الشرطة في البحث عنهم، فقصد زقاقًا خاليًا في بعض أطراف بغداد فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة يقدّر ثمنها بدينار مع إنّ أحوال أهل الزقاق لا تتحمل شراء مثل هذه السمكة، فشك في الأمر واستدرج عجوزًا في الكلام طلب منها ماء فسألها: من يسكن هذه الدار؟ وأومأ إلى التي عليها عظام السمك، فقالت: والله ما ندري إلا أنّ فيها خمسة شبان أعفار كأنهم تجار، وقد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهارًا إلا كل مدة طويلة، وإنّا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعًا، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد، ولهم صبي يخدمهم وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ ويدعون الصبي في الدار يحفظهم فإذا كان سحر بليل جاءوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم، فتأكد للوالي أنّ هذه صفة اللصوص فكشف عنهم،[lxii].

وهذه القصة التي أوردها ابن الجوزي، مع طرافتها تكشف لنا عن جوانب اجتماعية واقتصادية، فهي إلى جانب كشفها، عن إنّ فقراء بغداد كانوا يتجمّعون في محال معينة ويسكنون دورًا بسيطة ولا يأكلون من الطعام إلا ما كسد ورخص تكشف عن عادات وأساليب اللصوص وطرق معيشتهم، مع ذلك أنهم لا يسكنون دارًا أو محلّة إلا لمدة قصيرة وليست لهم علاقات اجتماعية مع الناس. إذ قلّما يخرجون في وضح النهار إلا في قضاء حاجة، وإذ أبرحوا الدار عادوا إليها سريعًا، ويقضون نهارهم في اللعب والشرب، ولا يمارسون عملهم إلا في الليل بعيدًا عن محل سكناهم إبعادًا للشبهة.

ومن اللصوص كان يعمد إلى السرقة نهارًا جهارًا، فإذا فطن له، وجاء صاحب الدار باغته: أنه صديق زوجته وأنه من بعض غلمان القواد ويقول له: استر عليّ وعلى نفسك. انكشف مرة أحدهم عندما دخل دارًا فيها عجوز لها أكثر من تسعين سنة فادّعى تلك الدعوى فقال له صاحب الدار: ياكشحان ليس في الدار إلا أمي ولها تسعون سنة[lxiii]ومنهم من يحفر في الدار حفرة عند دخوله الدار ويطرح فيها جوزات فإذا قبض عليه ادعى أنه يقامره وأنه ليس بلص[lxiv]، ومن الشطار من يعمد إلى السرقة من مؤسسات الدولة، كما حدث ذلك عام (231هـ/845م) «فقد نقب بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر وأخذوا اثنين وأربعين ألفًا من الدراهم»[lxv].

ومع إنّ أعمال الشطار تعتبر في نظر المجتمع خروجًا على أعرافه وتقاليده، وسلوكًا إجراميًّا فقد نسبت لها بعض المثل الأخلاقية، قيل: إنهم تعارفوا عليها، ذكر الجاحظ وصية عثمان الخياط للشطار واللصوص[lxvi]: «إياكم إياكم وحب النساء وسماع ضرب العود وشرب الزبيب المطبوخ وعليكم باتخاذ الغلمان، فإنهم أنفع لكم من أقاربكم وعليكم بنبيذ التمر». ونسب إلى ابن حمدون قوله: «إنّ من فيه فتوة وظرف لا يفتش امرأة ولا يسلبها»[lxvii]. وقال قاضيهم أبو الفاتك: «الفتى لا يكون نشالاً ولا نشافًا ولا مرسلاً ولا لكامًا ولا مصماصًا ولا دلاكًا ولا مقورًا ولا مغربلاً ولا محلقمًا ولا مسوغًا ولا ملغمًا ولا مخضرًا»[lxviii]. وهو يعني بذلك لا يكون الفتى نشالاً ولا كسولاً ولا مدلكًا في حمام ولا مراوغًا ولا بكاءً ينقاد للعاطفة... الخ[lxix]، ومن صفاتهم أيضًا الوفاء بالعهد ومساعدة الفقراء وإكرام الضيف والعفة واحترام المرأة والإخلاص للصديق وكف الأذى والصبر والجلد والشهامة وإغاثة المنكوب[lxx].

رابعاً: المكدون: الكدية في اللغة «حرفة السائل الملح وشدة الدهر»[lxxi]. يقال: أكدى إذا ألح في المسألة وهو مكد أي سائل شحاذوهم المكدون أي الشحاذون. وهم عند الجاحظ: طائفة متحدة في المنزع والهوى مولعون بالرحلة والمهاجرة، وبعد ذلك سموا بالساسانيين أو بني ساسان، ويصفهم بأنهم عرفوا «خدع الكاهن وتدسيس العراف، وإلى ما يذهب الخطاط والعياف، وما يقول أصحاب الأكتاف وعرفوا التنجيم والزجر والطرق والفكر[lxxii]، وهذه الأفكار والغيبيات نجدها واضحة في العقلية الهندية مما يدل على إن أصلهم هندي[lxxiii].

والكدية لا تعني الاستجداء، كما تفيد بمعناها اللغوي الساذج، بل إنّ هذا الاصطلاح وخاصةً في العصر العباسي قد أخذت معنى اصطلاحيًّا معقدًا متعدد الوجوه كثير الدلالة، فأصبحت تتضمن معنى الاحتيال

للحصول على المال! بمختلف الوسائل والأساليب غير المشروعة من استخدام القوة والاستلاب بالعنف والغلبة إلى استغلال غفلة الجماهير وغرائز الرحمة والرقة.

ذات مرة تبرم أحد الشباب من صنعة الكدية، وشكا ذلك إلى شيخ مكد، فغضب الشيخ وقال: «للكدية رجال فمالك ولها، أو ما علمت أنّ الكدية صناعة شريفة وهي محببة لذيذة صاحبها في نعيم لا ينفذ فهو على الدنيا ومساحة الأرض وخليفة ذو القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيثما حل لا يخاف من البؤس يسير حيث يشاء يأخذ أطايب كل بلدة»[lxxiv].

إنّ شيوع الكدية في مجتمع ما، تدل على تردّي الأحوال الاقتصادية يلجأ إليها الفقراء والمحتاجون للحصول على الطعام والمال، وقد يتوارثها الأبناء عن الآباء والأصدقاء عن الأقران. فقد أوصى مكد ابنه قائلاً: «واعلم أنّ الارتكاض بابها، والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها، والقحة سلاحها، فلج كل لج وانتجع كل روض، وألق دلوك في كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تحل الدأب، فقد كان مكتوبًا على عصا شيخنا ساسان: من طلب جلب ومن جال نال...»[lxxv] والوصية طويلة حدد فيها قائلها شروطًا وأصولاً لابد من إتيانها لكل مكد، وهي تدل على ما لهذه الصنعة من رواج وانتشار في العصر العباسي ببغداد.

لقد رافق انتشار الكدية أدب يعرف (بأدب الكدية) عبّر عن نفسه بالشعر الجيد والنثر البليغ على لسان بعض الأدباء الذين زاولوا الكدية وعانوا مصاعبها وخبروا مداخلها وأسرارها، وهذا يفسر صدق وعذوبة وجمال هذا التعبير.\ومن أشهر شعراء الكدية، الأحنف الكعبري، وابن الحجاج، وأبو دلف الخزرجي والأخير كان كثير الملح والظرف مشحوذ المدية في الكدية، وله قصيدة رائية في مائة وتسعين بيتًا أو تزيد سماها «مناكاة بني ساسان»[lxxvi] وللأحنف الكعبري شعر يصف الكدية وأسرارها والمكدين وأحوالهم[lxxvii].

لقد شاعت الكدية في العصر العباسي شيوعًا أصبح معه المكدون طائفة متخصصة عن بقية فئات العامة، وسبب ذلك لشيوع تردي الأحوال المعاشية وتفاقم الأزمات المالية وارتفاع الأسعار وقلة المشاغل وإسقاط الأرزاق عن كثير ممن كان يستحقها، ويستعمل المكدون أساليب مؤثرة وطرقًا شاذة ووسائل دعائية تجلب انتباه الناس وتستدر عطفهم وشفقتهم، حتى يبذلوا ما تجود به أيديهم، ولهم في ذلك حيل مختلفة ذكر شطرًا منها الجاحظ في البخلاء[lxxviii]، والبيهقي في المحاسن والمساوئ[lxxix]، والتنوخي في نشوار المحاضرة[lxxx]، والحريري في مقاماته[lxxxi]، والهمداني في مقاماته:

تعريتُ كغصنِ البا ن بين الورق والخضرِ
وشاهدتُ أعاجيبًا وألوانًا من الدهرِ
على أني من القوم البهـ ـاليل بني الغرِ
بني ساسان والحامي الحمـ ى من سالفِ الدهرِ

أيضًا[lxxxii]، والتوحيدي في بعض كتبه[lxxxiii]، ولا مجال لذكر هذه الحيل والتسميات التي يمكن الرجوع إليها من مصادرها لمن أراد الاستزادة.

فنحن الناس كل النا س في البر وفي البحرِ
أخذنا الجزية الخلق من الصين إلى مصرِ
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفرِ
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر

وكما أولع المكدون بالسفر والانتقال من مكان إلى آخر طلبًا للمال فقد أولعوا بمزاولة الكدية في الأماكن التي يتجمع فيها الناس، تجدهم يتسكعون في الطرقات والشوارع قائمين قاعدين نائمين متكيفين لمقتضى الحال

وما يشير عطف الناس، وتجدهم يحلقون في عيون الناس بالأسواق يحصون الشاري والبائع ويسيل لعابهم لهذه المادة الغذائية أو تلك، ومنهم من يلتصق بأبواب الحمامات يسألون داخليها وخارجيها، ويحرص المكدون على إظهار حيلهم في المناسبات الدينية والدنيوية المفرحة والمحزنة على حد سواء ولعل أكبر تجمع لهم يكون في مواسم الحج، يندسون بين الحجاج، يتعلّقون بأثياب هذا، ويستجدون ذلك ووسيلتهم في ذلك توزيع الثواب والدعاء على الناس بلا حساب. روى الأصمعي أنه شاهد سائلاً متعلقًا في أستار الكعبة وهو ينشد[lxxxiv]:

لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهندِ

إلى الروم إلى الزنج إلى البغار والسندِ[lxxxv]

يا رب إني سائلٌ كما ترى مشتملٌ شميلَتي كما ترى

وشيختي جالسةٌ فيما ترى والبطن مني جائعٌ كما ترى

فما ترى يا ربنا فيما ترى

وإلى جانب الكدية لجأ بعض العاطلين من الناس إلى وسيلة التطفّل وهي تعني لغويًّا «دخول الولائم من غير دعوى، والعرب تسمّي الطفيلي: الراش والوراش»[lxxxvi]. وينسبها الفيروزآبادي إلى ابن زلال الكوفي الذي يدعى طفيل الأعراس أو العرائس وكان يأتي الولائم بلا دعوة[lxxxvii]. والتطفّل كالكدية يعني طلبًا وسؤالاً، ولكن بصيغة أكثر قبولاً وأقل شيوعًا وانتشارًا. المكدي كثيرًا ما يستعمل الحيلة المحزنة ويظهر فاقته وتردّي حاله بأدب وشعر أو بطرق أخرى، في حين إنّ المتطفّل يستعمل طرقًا ساخرة ومضحكة للحصول على الطعام والمال بصورة غير مباشرة، وفي العصر العباسي الذي نحن بصدده، زاد انتشار التطفل، وأصبح المتطفلون فئة مميزة عن أقرانهم العاطلين من الناس. أوصى طفيل العرائس ابنه عبد الحميد قائلاً[lxxxviii]:

لا تجزعن من الغريبِ ولا منَ الرجلِ البعيدِ

وادخلْ كأنك طابخ بيديك مغرفة الحديدِ

متدليًّا فوق الطعام تدلي الباز الصيودِ

لتلف ما فوق الطعام كلها لف الفهود

واطرحْ حياءَك إنما وجه الطفيلي من الحديدِ

والقصيدة طويلة تدور حول الطعام ووصف أنواعه وما إلى ذلك مما عرف به الطفيليون.

خامساً: الخدم والرقيق: ويُحصل على ذكورهم وإناثهم، أسودهم وأبيضهم، عن طريق البيع والشراء والأسر في الحروب، أو ضمن واردات الدولة وهدايا الخلفاء والأثرياء[lxxxix]، ففي سنة (282هـ/895م) وردت إلى المعتضد بالله هدية بمائة خادم وخمسين جارية[xc]. وأهدى صاحب المغرب إلى المكتفي سنة (291هـ/903م) هدايا لها قدر جليل فيها مائة خادم ومائة جارية[xci]، وضمّ بلاط المكتفي بالله عشرة آلاف خادم، وبلغ عددهم زمن المقتدر أحد عشر ألف خادم[xcii]. ومن الرقيق من يأتي إلى مركز الخلافة العباسية ضمن واردات الدولة، كالذي حدث سنة (240هـ/854م)، عندما امتنع أهل الصعيد بمصر من دفع ما كان مفروضًا عليهم وهو في كل سنة خمسمائة نفر من العبيد والجواري[xciii]، ولعل طرق الأسر في الحروب

والشراء والبيع من أكثر الطرق شيوعًا وجلبًا للرقيق، ففي وقعة عمورية سنة (223هـ/837م) «كان ينادي على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة، والمتاع الكثير جملة واحدة»[xciv]، ولهذا فقد عجّت بهم قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء. وامتلأت بهم قطائع وأماكن بغداد حتى نسبت بعضها إلى الرقيق كدار الرقيق من جهة الشام[xcv]، وباب النخاسين في بداية شارع الكرخ الذي يتجمع فيه باعة الرقيق.

وكان من نتائج ازدهار تجارة الرقيق المربحة، انتشار الأسواق لبيعهم في بغداد والبصرة ونواحٍ أخرى، وقد عرفت مثل هذه الأسواق بـ«أسواق النحاسين»[xcvi].

ومع سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي كان عليها الرقيق عمومًا، فإنّ بعضًا منهم قد لقي حظوة عند الخلفاء العباسيين مما أغضب الناس، نظر أبو عيسى الوراق[xcvii]، إلى خادم خرج من دار الخليفة بنجائب تقاد بين يديه بجماعة تركض حواليه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: «أوحدك بلغات وألسنة وأدعو إليك بحجج وأدلّة وأنصر دينك بكل شاهد وبيّنة ثم أمشي هكذا عاريًا جائعًا ومثل هذا الأسود يتقلب في الخز والوشي والخدم والحشم والحاشية والغاشية»[xcviii].،ومن الرقيق من أصبحن أمهات أولاد عند الخلفاء العباسيين، ومنهن من تدخلن في السياسة كمراجل أُم المأمون وهي أمة فارسية، وماردة أُم المعتصم وهي أمة تركية، وقراطيس أُم الواثق، وشجاع أُم المتوكل[xcix]، وقبيحة زوجة المتوكل والسيدة أم المقتدر[c].، وتصرف بعض الخدم تصرفات لا تخلو من الغرور والعجرفة، أساءت إلى سمعة أسيادهم وملاكهم، فقد ذكر التنوخي[ci]: أنّ أحد خدم الموفق خمر وترنح من شدة السكر، فصادفه أحد القضاة، فاعتدى عليه وأهانه أقبح إهانة، فشاع خبره بين الناس وطالبوا الموفق وضع الحد على غلامه هذا.

وبلغ من شدة تذمّر الناس من هؤلاء في العصر العباسي: «أنّ العامة أغريت بالصياح بمن رأوا من الخدم السود: يا عقيق صب ماء واطرح دقيق، يا عاق يا طويل السابق»[cii]، فكانوا يغضبون من ذلك، «فوجه المعتضد خادمًا أسود عشية الجمعة من سنة (284هـ/897م) برقعة إلى ابن حمدون النديم، فلما بلغ الخادم رأس الجسر من الجانب الشرقي صاح به صائح العامة: يا عقيق! فشتم الخادم الصائح، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه وضاعت الرقعة التي كانت معه»[ciii].،وجدير بالذكر أنّ هذه النقمة لا تنطبق على كل الرقيق والخدم، وذلك أنّ كثيرًا منهم ظلوا يعيشون في ذل وفاقة، يباعون بأبخس الأثمان في أسواق النخاسين، حتى بلغ ثمن الغلام منهم ثلاثين دينارًا[civ]، مما جلب لهم عطف الرأي العام الإسلامي، فقد ذكر عن المأمون، قوله وهو يوصي أحد أقاربه: «ارفق بهم فإنهم بشرٌ مثلك»[cv]. ومن طريق الأخبار ما رواه البيهقي[cvi]: من إنّ أحد الخدم قد تعرّض للضرب من قبل سيده بسبب ضياع دجاجة، فانتصف له أحد الجيران وكان يتعاطى الشعر، فكتب أبياتًا في رقعة وشدّها في رجل دجاجة وألقى بها على جاره وفيها:

ياذا الذي من أجل دجاجة أظهر للعَالم أخلاقَهْ

ألقى على الغلمان من أجلها بالضرب والتعذيب أرواقهْ

رفقًا قليلاً بعُقوباتهم فإنهم لم يعقروا الناقةّ[cvii]

وهكذا ظلّ الرقيق مسلوبيّ الحرية الشخصية، وظلّت مشكلتهم واحدة من المشاكل المهمة التي عانى منها المجتمع الإسلامي عامة، ومجتمع العصر العباسي ببغداد خاصة مع إنّ الإسلام حضّ على فك رقابهم[cviii].

سادساً: الفتوة: ظهرت الفتوة بشكل واضح عندما جاء الخليفة الناصر لدين الله العباسي عام (575هـ/1180م) إلى عام (622هـ/1225م) حيث قام بحركة حكيمة ومهمة في تشكيل تنظيمات الفتوة، كان لها أثر كبير في تدعيم قوة الخلافة وتهدئة الأوضاع العامة ذلك أنه في الوقت الذي أعلن فيه إلغاء جميع التنظيمات الأخرى قرر تشكيل فتوة مرتبطة بالخلافة.

إن اهتمام الخليفة الناصر لدين الله العباسي بالفتوة، وتصديه لإصلاحها قد تم في عام (578هـ/1182م) بعد أن طلب إليه الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي الزاهد أن يلبس لباس الفتوة[cix]. ولقد ربط الخليفة الناصر لدين الله هذه المنظمات بالدولة، وجعلها تحت إشرافه المباشر. كما أنه لم يكتف بذلك، بل عزم على تعميمها في جميع الممالك الإسلامية، فكاتب الأمراء والملوك طالباً منهم الانتماء إلى الفتوة، وتأمين دعمها وتنظيمها في مناطقهم. وهكذا قدر لهذا التنظيم أن ينتشر بشكل واسع بين أفراد الأمة في مختلف الأمصار

الإسلامية[cx]، وذلك رغبةً من الخليفة الناصر لدين الله في أن يجدد شباب الأمة الإسلامية، ويوحدها في داخل العراق، وفي أقاليم الدولة الأخرى، وأن يعيد لبغداد دورها وأهميتها.

لقد أدرك الخليفة الناصر لدين الله بثاقب بصيرته ما كان عليه العالم الإسلامي من التشتت والضعف والاختلاف، والانحراف والتعادي، والتمادي في التنازع، كما لاحظ إضافة إلى ذلك اشتداد قوة الإفرنج والصليبيين وخطورتهم، وهكذا تحقق له أن العالم الإسلامي يحتاج إلى تجديد قوته بزيادة الاهتمام بالشباب، وتدعيم دورهم، فعمد إلى الفتوة التي وجد فيها أسلوباً مثالياً لتجمّع قوة شباب المسلمين، وضمان الاستفادة من جهودهم لدعم الخلافة، وإصلاح الأوضاع. ولقد نجح الخليفة الناصر في هدفه، إذ سرعان ما تكون نتيجة سلامة الأسلوب، ودقة العمل، والإصرار عليه، وعلى المتابعة، جيل شجاع محارب مجاهد، كامل الفضائل، قد تحقق ذلك بفضل، التنظيم الجديد للفتوة، الذي تضمن تدريباً خاصاً على مختلف فنون بناء الجسم وأساليب القتال، والدفاع عن النفس، كالفروسية والرماية وفنون الحرب والقتال. ولقد «كان ابتداء هذا الأمر – أعني الفتوة – في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وذلك أن ندماء الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن أحمد بن المستضيء بأمر الله حسّنوا له أن يكون فتى، وأحضروا له رجلاً يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح، له أتباع كثيرون، ومعه ولده شمس الدين علي، فقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج، ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين علي، وندماء الخليفة، وألبس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة، وأخبره أنه لبسها من شيخ إلى شيخ، وثمّ، ثمّ علي بن أبي طالب .[cxi]»□

وتلافياً للنزاع بين أحزاب الفتيان أصدر الخليفة الناصر عام (604هـ/1207م) منشوراً بإبطال جميع تنظيمات الفتوة القديمة، وإثبات أفراد التنظيم الجديد الذي استحدثه، والذي جعل من شخصه المرجع والمثل الأعلى للفتوة، قال ابن الساعي في حوادث عام (604هـ/1207م): «في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة، وجعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله القبلة في ذلك، والمرجوع إليه فيه، وكان قد شرّف عبد الجبار بالفتوة إليه، فدخل في ذلك الناس كافة من الخاصة والعامة، وسأل ملوك الأطراف الفتوة، فأنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة، وانتشر ذلك ببغداد، وتفتى الأصاغر والكابر»[cxii].

الهوامش

(i) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817ه/1414م)، القاموس المحيط، مطبعة شركة الطباعة، القاهرة، ط1، 1332ه/1913م، ج4، ص154.

(ii) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764ه/1263م)، نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1329ه/1911م، ص10.

(iii) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393ه/1003م)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1377ه، ج5، ص1993.

(iv) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255ه/868م): الرسائل، نشر حسن النسدوبي، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1352ه/1933م، ص126.

(v) التوحيدي، أبو حيان (ت387ه/997م): الهوامل والشوامل، نشر أحمد أمين، وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1371ه/1951م، ص86.

(vi) التوحيدي: المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، مطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة، ط1، 1348ه/1929م، ص242.

(vii) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت192ه/807م) الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1352ه/1933م، ص123.

(viii) سورة البقرة، آية: 275.

(ix) ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد بن أحمد (ت729ه/1328م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تصحيح روبن لوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، 1356ه/1937م، ص215.

(x) الجاحظ: البيان والتبيين، دار الطباعة، القاهرة، 1290ه/1873م، ج1 ص136.

(xi) البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت470ه/1077م): المحاسن والمساوئ، دار صادر، بيروت، 1380ه/1960م، ص103.

(xii) أبو المطهر الأزدي، محمد بن أحمد (من علماء القرن الرابع الهجري): حكاية أبي القاسم البغدادي، نشر آدم متز، مطبعة كرل ونتر، هيد لبرج، 1320/1902م، ص120-140.

(xiii) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت597ه/1200م): تلبيس إبليس، المطبعة المنيرية في مصر، بلا تاريخ: 384.

(xiv) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت521ه/1127م): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف، بيروت، ط1، المطبعة الكاثولكية، 1959/1379م، ص51.
(xv) الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال (ت448ه/1056م): تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة البابي الحلب وشركاؤه، مصر، 1378ه/1958م، ص22.
(xvi) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346ه/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1378ه/1958م، ج2 ص218.
(xvii) كالحدادين والرفائين، والعصارين، والأساكفة، والمطرزين، والوراقين، والمجلدين، والعطارين، والمشهدين، والنجارين، والخراطين، والأسفاطين، والسقائين، والخبازين، والطباخين، والمخرقين، والبوابين، والحجابين، والمضحكين، والطبالين، والجزارين، والبواقين، والموسيقيين، والسواقين، والشوائين، والفرانين، والطحانين، والقلائين، والدلالين، والرواسين، والبقالين، والبنائين، والحلويين، والزلابين، والعبارين، والشرابين، والفخارين، والحجامين، والكحالين، والخياطين، والحاكة، والجصاصين... الخ – فهد، بدري محمد فهد: العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، مطبعة الأرشاد بغداد، 1387ه/1967م، ص59-62.
(xviii) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310ه/922م): تاريخ الملوك والرسل، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1388ه/1968م، ج8 ص551.
(xix) د. الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1368ه/1948م، ص68.
(xx)المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2 ص218.
(xxi) الطبري، ج8 ص465.
(xxii) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2 ص218.
(xxiii) الطبري، ج1 ص458.
(xxiv) المئزر: قطعة القماش التي تستر العورة والتي تلبس من السرة إلى أسفل. دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: د. أكرم فاضل، ص40.
(xxv) د. الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص68.
(xxvi) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2 ص218.
(xxvii) الطبري، ج8 ص465.
(xxviii) المسعودي: مروج الذهب ومعاون الجوهر، ج2 ص218.
(xxix) المسعودي: مروج الذهب ومعاون الجوهر ، ج9 ص346.
(xxx) مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج3 ص333.
(xxxi)ابن الأثير، علي بن أحمد أبي الكرم الملقب بعز الدين (ت630ه/1232م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1385ه/1965م، ج6 ص272.
(xxxii) ابن الأثير، ج6 ص272.
(xxxiii) الطبري، ج9 ص309-311.
(xxxiv) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4 ص54.
(xxxv) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الخزرجي (711ه/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1375ه/1955م، ج10 ص35 «الجرامقة قوم بالموصل أصلهم من العجم، والجرموق، خف صغير وقيل: خف صغير يلبس فوق الخف» وقد استعملها الشاعر في هذا الموضع استخفافًا بالأتراك.
(xxxvi) ابن الأثير: الكامل، ج7 ص144.
(xxxvii) الطبري، ج9 ص288.
(xxxviii) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت597ه/1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة حيدر آباد، الدكن، ط1/ 1357ه/1938م، ج5 ص171.
(xxxix) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421ه/1030م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، طبعة النيل، مصر، 1324ه/1906م، ، ج5 ص7.
(xl) الطبري، ج9 ص288.
(xli) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، رسالة دكتوراه، مطبعة الزهراء، بغداد، 1390ه/1970م، ص55.
(xlii) الطبري، ج9 ص309.
(xliii) ابن الأثير: الكامل، ج9 ص276.
(xliv) الطبري، ج9 ص309 وما بعدها.
(xlv)سورة البقرة: 277؛ سورة التوبة: 60.
(xlvi) الجاحظ: البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، بلا تاريخ، ص105.

(xlvii) التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم (ت384ه/994م): الفرج بعد الشدة، مطبعة الصنادقية بجوار الأزهر، 1357ه/1938م، ج2 ص119.
(xlviii) الطبري، ج2 ص451.
(xlix) جرجي زيدان: تاريخ التمدّن الإسلامي، دار الهلال، 1378ه/1958م، ج5 ص52.
(l) الشيبي، كامل مصطفى: الصلة بين التصوف والتشيع، مطبعة الزهراء، 1384ه/1964م، ص204.
(li) ابن المعمار، أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم الحنبلي (ت642ه/1244م): الفتوة، تحقيق: د. مصطفى جواد وزملائه، مطبعة شفيق، بغداد/ 1378ه/1958م، ص192.
(lii) الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1339ه/1940م، ج2 ص346.
(liii) ابن المعمار: الفتوة، ص17.
(liv) ابن المعمار: الفتوة، ص21.
(lv) الجاحظ: الحيوان، ج1 ص168.
(lvi) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن (4هـ)، ص83.
(lvii) القناع «نوع من القماش يوضع على الرأس». دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص303.
(lviii) القلنسوة «طاقية توضع تحت العمامة». دوزي: المعجم المفصل، ص296.
(lix) التوابون: هم شيوخ اللصوص ومفردهم التائب الذين كبروا وتابوا فإذا جرت حادثة علموا من فعل ذلك فدلوا عليه وقد يعمد بعضهم إلى الاتفاق مع اللصوص سرًّا ويقاسمونهم ما يسرقونه». المسعودي: مروج الذهب، ج4 ص248.
(lx) المسعودي: مروج الذهب، ج4 ص248.
(lxi) مسكويه: تجارب الأمم، ج6 ص433.
(lxii) ابن الجوزي: الأذكياء، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1306ه/1888م، ص44.
(lxiii) التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1391ه/1971م، ج1 ص157-158.
(lxiv) ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين، ط2 ص64؛ أيضًا التنوخي: نشوار المحاضرة، ج1 ص79.
(lxv) الطبري، ج9 ص140.
(lxvi) الجاحظ: البخلاء، ص248.
(lxvii) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج2 ص119.
(lxviii) الجاحظ: البخلاء، ص67.
(lxix) يمكن مراجعة البخلاء للجاحظ، ص76-78، للوقوف على فهم هذه التعبيرات جميعًا.
(lxx) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص378.
(lxxi) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج4 ص384.
(lxxii) الجاحظ: البخلاء، ص47.
(lxxiii) نفس المصدر، ص304.
(lxxiv) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص580.
(lxxv) مقامات الحريري: المقامة الساسانية، ص574-577.
(lxxvi) اخترت من هذه القصيدة الطويلة بعض الأبيات كما ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر، ج3 ص355.
(lxxvii) ومنها:

على إني بحمد الله في بيت من المجد بإخواني بني ساسان أهل الجدِّ والجدِّ

(lxxviii) الجاحظ: البخلاء، ص51 وما بعدها.
(lxxix) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص583-585.
(lxxx) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج2 ص358 ومواضع أخرى.
(lxxxi) مقامات الحريري، ص97، 259، 574، وغيرها.
(lxxxii) مقامات الهمذاني، ص10، 37، 54، 79.
(lxxxiii) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج3 ص100.
(lxxxiv)البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص585.
(lxxxv) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري 0ت429ه/1037م): يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، بلا تاريخ، ج4 ص117.
(lxxxvi) ابن منظور: لسان العرب، ج11 ص404؛ وفي مختار الصحاح للرازي، ص394، الوارش فقط.
(lxxxvii) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج4 ص7. «وطفيل العرائس رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم دون أن يدعى لها» - ابن منظور: لسان العرب، ج11 ص404.
(lxxxviii) ابن الجوزي: الأذكياء: 13/3.
(lxxxix) بدري محمد فهد: العامة، ص18، 27.

(xc) ابن الأثير: الذخائر والتحف، ص44.
(xci) نفس المصدر، ص47.
(xcii) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص8؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص209.
(xciii) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج2 ص295.
(xciv) الطبري، ج9 ص69.
(xcv) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت282ه/895م): البلدان، المطبعة الحيدرية بالنجف، ط3، 1377ه/1957م، ص16.
(xcvi) اليعقوبي: البلدان، ص13.
(xcvii) هو أبو عيسى محمد بن هارون الوراق البغدادي من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة». ابن النديم: الفهرست، ص473. وقد توفي بالرملة سنة 247؛ المسعودي: مروج الذهب، ج4 ص55.
(xcviii) التوحيدي: الهوامل والشوامل، ص213.
(xcix) الذهبي: دول الإسلام، ج1 ص36.
(c) رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص25-26.
(ci) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج2 ص26.
(cii) المسعودي: مروج الذهب، ج4 ص260.
(ciii) الطبري، ج10 ص53.
(civ) ابن الجوزي: المنتظم، ج5 ص159.
(cv) ابن طيفور: بغداد، ص52.
(cvi) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص574.
(cvii) المصدر السابق، ص574.
(cviii) بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ...﴾ [سورة التوبة، الآية: 60].
(cix) ابن المعمار: الفتوة، ص123، ابن الساعي: الجامع المختصر، ج9 ص221.
(cx) ابن الساعي: الجامع المختصر، ج9 ص221، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ص255-256.
(cxi) مصطفى جواد: الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين – مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الخامس، ص95. عن السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ص17، طبعة مصر سنة 1937م.
(cxii) ابن الساعي: الجامع المختصر، ج9 ص221.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

1. ابن الأثير، علي بن أحمد أبي الكرم الملقب بعز الدين (ت630ه/1232م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1385ه/1965م.
2. ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد بن أحمد (ت729ه/1328م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تصحيح روبن لوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، 1356ه/1937م.
3. ابن الجوزي: الأذكياء، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1306ه/1888م.
4. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت597ه/1200م): تلبيس إبليس، المطبعة المنيرية في مصر، بلا تاريخ.
5. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت597ه/1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة حيدر آباد، الدكن، ط1/ 1357ه/1938م.
6. ابن المعمار، أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم الحنبلي (ت642ه/1244م): الفتوة، تحقيق: د. مصطفى جواد وزملائه، مطبعة شفيق، بغداد/ 1378ه/1958م.
7. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الخزرجي (711ه/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1375ه/1955م.
8. أبو المطهر الأزدي، محمد بن أحمد (من علماء القرن الرابع الهجري): حكاية أبي القاسم البغدادي، نشر آدم متز، مطبعة كرل ونتر، هيد لبرج، 1320/1902م.
9. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت192ه/807م) الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1352ه/1933م.
10. البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت470ه/1077م): المحاسن والمساوئ، دار صادر، بيروت، 1380ه/1960م.
11. التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1391ه/1971م.

12. التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم (ت384ه/994م): الفرج بعد الشدة، مطبعة الصنادقية بجوار الأزهر، 1357ه/1938م.
13. التوحيدي، أبو حيان (ت387ه/997م): الهوامل والشوامل، نشر أحمد أمين، وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1371ه/1951م. المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، مطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة، ط1، 1348ه/1929م.
14. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري 0ت429ه/1037م): يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، بلا تاريخ.
15. الجاحظ: البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، بلا تاريخ.
16. الجاحظ: البيان والتبيين، دار الطباعة، القاهرة، 1290ه/1873م.
17. الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1339ه/1940م.
18. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255ه/868م): الرسائل، نشر حسن السندوبي، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1352ه/1933م.
19. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393ه/1003م)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1377ه.
20. الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال (ت448ه/1056م): تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة البابي الحلب وشركاؤه، مصر، 1378ه/1958م.
21. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764ه/1263م)، نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1329ه/1911م.
22. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310ه/922م): تاريخ الملوك والرسل، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1388ه/1968م.
23. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817ه/1414م)، القاموس المحيط، مطبعة شركة الطباعة، القاهرة، ط1، 1332ه/1913م.
24. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346ه/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1378ه/1958م.
25. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421ه/1030م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، طبعة النيل، مصر، 1324ه/1906م.
26. الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت521ه/1127م): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف، بيروت، ط1، المطبعة الكاثولكية، 1379/1959م.

ثانياً: المراجع.

1. جرجي زيدان: تاريخ التمدّن الإسلامي، دار الهلال، 1378ه/1958م.
2. الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1368ه/1948م.
3. دوزي، رينهارد: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: د. أكرم فاضل، دار الحرية للطبعة، بغداد، 1391ه/1971م.
4. الشيبي، كامل مصطفى: الصلة بين التصوف والتشيع، مطبعة الزهراء، 1384ه/1964م.
5. فهد، بدري محمد فهد: العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، مطبعة الأرشاد بغداد، 1387ه/1967م.
6. مصطفى جواد: الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين – مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الخامس.
7. مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، رسالة دكتوراه، مطبعة الزهراء، بغداد، 1390ه/1970م.